

## قلعة بني عباس (امارة المقرانيين) 1600/1500م دراسة تاريخية

أ.ة/ مكاس مليكة\*

### -الملخص:

تقع قلعة بني عباس في أعالي جبال ونوغة وتعد من أهم المناطق التي بنيت في قمم الجبال التي يصعب الارتقاء إليها، وهي تحتل موقعا بالغ الأهمية، وقد أدت دورا بارزا في مسيرة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، تعددت الروايات واختلفت مضامينها إلا أنها في النهاية اتفقت على النسب الشريف لهذه العائلة وهم يصلونها اما بفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم أو بسلالة الادريسية الحسنية، أسسها عبد الرحمن القلعي في القرن 9هـ/15م، كما كانت لها علاقات كثيرة من بينها مع الامارة المجاورة لها إمارة كوكو، ومع العثمانيين التي اتسمت تارة بالسلم والتعاون وتارة بالصراع والحروب، وبوفاة السلطان أحمد أمقران وابنه دب الضعف والتشتت بالقلعة مما ساعد على خضوعها للأتراك وتصرفهم في شؤونها.

### Abstract:

bani abbes kalaa is situated at the top of wannoghas mountains it is considered as the most highest place to be achieved and it took a good place in the algerian history during the rule of othoman

and the stories were a lot of about the ancestors of bani abbes, but at the end they agreed about the honest belonging of this family and they would offer it either Fatima Zahra girl of prophet mohamed peace be upon him, or strain Idrisid Hassania

kalaa of bani abbes was founded by abed rahmane el kalaii in the 9<sup>th</sup> centry after hidjra , and the 15<sup>th</sup> A.D . it was linked with the neighbours Imara like Imarat koko, and othomans, this relation was peaceful and unsafe one at the same time, and after the death of king ahmed amokran and his son, the kalaa knew a weak period and a dispersion , that which made it ruled by the othomans'

\*- أستاذة باحثة في قسم التاريخ وعلم الآثار. جامعة منتوري قسنطينة 2 . قسنطينة، الجزائر.

**-مقدمة:**

لقد حظيت القلعة بمكانة مرموقة خلال العهد العثماني، بسبب موقعها المتميز فهي كما وصفها الكاتب الفرنسي فيرو "عش النسر"، كما أنها تعتبر من أعظم مراكز المقاومة عبر العصور، وقاعدة عسكرية لمكافحة الغزو الخارجي ثم الاستعمار الفرنسي 1830م. فبرغم من الدور الإيجابي الذي لعبته في مسيرة تاريخ الجزائر وحضارتها إلا أنها لم تلق العناية الكافية.

**1- موقع قلعة بني عباس**

لقد بنيت القلعة فوق صخرة ذات تكوين رسوبي صاعدة، منفصلة عن نظام التجاوز في توضعها الطباق، والذي يظهر لنا النمط الأفقي للتوضع، مشكلا حزاما ضخما يتكون من عدد كبير من الأربطة مشكلة جدارا عموديا<sup>1</sup>، بالإضافة إلى المنعة التي اكتسبتها من منحدراتها التي ذكرها حمدان خوجة قائلا: "وفيها مدينة تسمى القلعة، لا يتم الوصول إليها إلا بشق الأنفس، وبما أنني لم أتمكن من الذهاب إليها راكبا فإني قطعت الطريق راجلا لأراها وإنه لطريق وعرو ومنحدر جدا إلى درجة أننا عندما يتسلقه ثلاثة أشخاص بالتتالي نرى رأس الثالث عند قدمي الأول"<sup>2</sup>، بالإضافة إلى ما قاله الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان عند عبوره لها في قوله "وقادنا طريق صاعد على امتداد الوادي، وبعد الصعود والهبوط وجدنا أنفسنا ببرج صخري، وكأننا قد سنا بين جدارين كلسيين يبلغ ارتفاعهما ألفي قدم، أو ثلاثة آلاف قدم، ... عبر طريق صغير منحدر انفتح بين الصخور والحجارة وكان ذلك قد تم بمعجزة ..."<sup>3</sup>.

كما يوجد بسلسلة البيان المكتنفة للقلعة، الممر الوحيد الرابط بين الجزائر مدينة الحكم المركزي وبايلك الشرق قسنطينة<sup>4</sup>، وبعد الأتراك أول من أطلق هذه التسمية على هذه السلسلة الجبلية الكلسية المتوعرة، فكانوا يسمونها باللغة التركية capou demir ومعنى كلمة "capou" الباب " و " demir الحديد"، وبالتالي فهي "أبواب الحديد"<sup>5</sup>.

ويرجع كاريت سبب إطلاق هذه التسمية إلى الكتل الصخرية التي تشكل عدة أبواب طبيعية متتالية شديدة الإرتفاع<sup>6</sup>، وهي باب أعجي في الجنوب وباب الجبل في الشرق، وباب البرج في الشمال نسبة إلى برج المراقبة في المدينة، وباب العسة في الغرب<sup>7</sup>، وأكد مالتسان وجود هذه الأبواب في قوله "...جاءهنا جدار صخري، لولا وجود الباب الثاني لصعب علينا أيضا المرور منه وكان هذا الباب ضيقا جدا، ...، وكان الباب الثالث يبعد عن الثاني ثلاثين خطوة، بينما الرابع بخمسين خطوة ..."<sup>8</sup>، ويمر وسطها وادي البيبان الذي يتميز بالضيق إلى درجة لا يمكن اجتيازه أثناء تهطل الأمطار الغزيرة<sup>9</sup> كما تميزت القلعة بالتربة النباتية الخفيفة والفقيرة تسمح بنمو بعض النباتات والأشجار كالزيتون، التين والصنوبر، البلوط والعرعار<sup>10</sup>، إضافة إلى بعض الأحراش كالحلفاء والديس.

## 2-نسب بني عباس:

لقد أولى المؤرخون اهتماما بالغا وعناية كبيرة، بنسب العائلة المقرانية، غير أنهم اختلفوا في تحديد أصولها، فالباحث الفرنسي "فيرو" يرجع نسب بني عباس إلى قبيلة سدويكش إحدى فروع قبيلة كتامة البربرية الشهيرة<sup>11</sup>، حيث أشار ابن خلدون إلى هذه القبيلة إذ أنها دخلت تحت زعامة قبيلة أولاد سواق المنحدرة من قبيلة أولاد سليم، الذين كانوا يستوطنون قلاع بني بوخصرة من قسنيطنة، وأنهم انتقلوا بعدها وانتشروا في سائر البلاد، وانتهى بهم المطاف بالاستقرار في المنطقة الجبلية المجاورة لبجاية ولاشك أنها اختارت المكان المنيع الذي بنيت عليه قلعة بني عباس فيما بعد للاحتماء من الأعداء. وتنقسم هذه القبيلة حسب ابن خلدون إلى فرعين أساسيين هما:

فرع أولاد علاوة وفرع أولاد يوسف، وقد ذكر ابن خلدون هذا الأخير بقول جاء فيه "فساروا إلى عياض من أفاريق هلال وسكنوا في جوارهم، بجبلهم الذي وطنوه، المطل على المسيلة، واتصلت الرياسة على سدويكش في أولاد يوسف، وهم لهذا العهد أربعة قبائل، بنو محمد بن يوسف، وبنو المهدي، وبنو إبراهيم بن يوسف والعزيزيون، وهم بنومنديل، وظافر وجري، وستر

الملوك والعباس، وعيسى، والستة أولاد يوسف وهم أشقاء وأمهم تاعزيت فنسبوا إليها، وانقسموا بدورهم إلى فريقين، فريق أول، مثله أولاد مهدي وأولاد براهيم استوطنوا بنواحي قسنطينة، أما الفريق الثاني الذي مثله أولاد محمد والعززيون فقد وطن بجاية، بينما أولاد علاوة استقروا بالمسيلة<sup>12</sup>. ويضيف إلى ذلك المؤرخ الجغرافي الإسباني مارمول كريخال بقوله "....وفي المكان المنيع منه توجد قلعة يسكن بها رئيس هؤلاء القوم وهم ينتسبون إلى زواوة الشرسين، وهم بربر اعتادوا العيش الطليق، لم يؤدوا منذ زمن بعيد ضريبة لسلطان أو أمير، وكان رئيسهم عام 1550م هو عبد العزيز من بني عباس"<sup>13</sup>.

وهناك رواية أخرى مفادها أن جد أولاد مقران يعود إلى القرنين 6 و7هـ/ 12 و13م وكان اسمه بوزيد بن علي بن مهدي بن صفوان بن مسار بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن عيسى بن ادريس الأصغر بن ادريس الأكبر بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان لسيد بوزيد أربعة أبناء وهم أحمد ومحمد وعبد الرحمان وعبد الله، وذكر عن أبناء أحمد أنهم تفرقوا بشرق الجزائر، فمنهم فرقة بأرض القبائل يدعون أولاد عيسى، والأخرى بجبلونوغة، ومنهم أولاد أحمد بن مقران<sup>14</sup>، ونفهم من هذا القول أن العائلة المقرانية ذات صلة بالعائلة الإدريسية بالمغرب.

ويؤكد هذا النسب الورتيلاني في رحلته قائلا: "....ومنهم الشيخ الولي الصالح، والغيث السائح الشريف نسبا كما هو عند ابن فرحون في طبقات الشرفاء سيدي أحمد بن عبد الرحمان"<sup>15</sup>. كما ذكر فيرو في ذلك أيضا قولا مفاده أن سيدي عبد الرحمان مغربي الأصل، ومن أصل شريف، اختار منطقة القبائل لما رأى فيها من فساد، ذلك ما جعله يستقر بها ويقوم بسياسة الإصلاح والوقوف مع بني عباس ضد الزواوة أبناء القاضي، كما أعطاهم فكرة بناء القلعة والتي أصبحت سياجا لحكمه<sup>16</sup>. وهناك رواية أخرى أوردتها يحي بوعزير مفادها أن نسب العائلة المقرانية يعود إلى "فاطمة الزهراء" بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكرون أن أجدادها من قبائل عياض<sup>17</sup>،

هاجروا إلى إقليم المغرب الإسلامي منذ ق 5هـ / 11م خلال الزحف الهلالي عليه، واستقروا بجبال المعاضيد<sup>18</sup>، عند قلعة بني حماد جنوب شرق إقليم برج بوعرييج الحالي، وارتبط تاريخهم هناك بالأمرء الحماديين الذين انتقلوا فيما بعد إلى بجاية<sup>19</sup>. وأشار ابن خلدون إلى الزحف الهلالي في قوله " ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورث مواطنهم بذلك الجبل، عياض منة أفاريق العرب الهلاليين، وسعي الجبل باسمهم<sup>20</sup>، إضافة إلى ما تم ذكره من روايات فقد ذكر الشيخ عبد الرحمان الجيلالي أن نسب العائلة المقرانية متصل بالحفصيين، اللذين حكموا قسنطينة واثتمروا على بجاية، حيث هاجر آخر أمراءهم ببجاية وهو عبد العزيز إلى أعالي الجبال بقلعة النونوة<sup>21</sup>، كما ذكر (فيرو) رواية أخرى مفادها أن أصول هذه الأسرة ترجع إلى أسرة فرنسية، وهي أسرة مونت مورنسي Montmorency، وهي من أشهر الأسر النبيلة التي لعبت دورا هاما وفعالا في فرنسا خلال ق 9 و10هـ / 15 و16م<sup>22</sup>. وقد نشر السيد (هنري كوفان) بجريدة الأخبار الفرنسية بتاريخ 23 ماي 1852م المجلس الذي انعقد في سطيف بحضور السي لخضر المقراني والذي قال فيه أن سي لخضر المقراني قائد بني عباس ينحدر من هذه العائلة المسيحية الرفيعة التي انتقلت من المغرب الأقصى إلى منطقة القبائل، وهي عائلة حسبما تذكره التقاليد، قد اعتنق أحد أفرادها الإسلام، وأطلق عليه لقب الشريف، حيث أن المقرانيين يحملون صليباً في أسلحتهم<sup>23</sup>، وفي النهاية اتفق معظم المؤرخين على النسب الشريف لهذه العائلة، ويصلونها إما بفاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بالسلالة الإدريسية الحسنية والتي مقرها بالمغرب الأقصى، ويؤيد هذا الرأي فيرو في قوله " ينتسبون إلى فاطمة بنت الرسول " ويضيف في رواية أخرى مفادها أن جد أولاد امقران كان يسمى عبد الرحمان من أشرف المغرب الأقصى، قدم إلى منطقة جرجرة في النصف الثاني من ق 15م<sup>24</sup>.

## 3- تأسيس القلعة:

من خلال ما تم استعراضه حول نشأة القلعة وحكامها تمكنا من الوصول إلى أن قلعة بني عباس شهدت أول ظهورها في العهد الحمادي، وكانت الانطلاقة الفعلية لها على يد عبد الرحمان القلعي (ق9هـ/15م)، فابنه أحمد بن عبد الرحمان (1500-1510م)، الذي ارتقت الإمارة في عهده إلى درجة كبيرة من القوة والازدهار، ثم خلفه ولده عبد العزيز (1510-1559م)، فأخوه أحمد أمقران والذي حكم عام 1559م، بينما اختلف في سنة وفاته، فابن أوجيت كما سبق الذكر، ذكر مشاركته في الحملة التي قادها سليمان فانزيانو عام 1600م<sup>25</sup>، أما تاريخ وفاته حسب شجرة النسب التي أوردها (ران) فإن أحمد أمقران توفي عام 1596م<sup>26</sup>، وبالتالي بما أنه شارك في تلك الحملة وهذا باتفاق معظم المؤرخين نصل إلى أن تاريخ وفاته هو عام 1600م، وهو تاريخ حكم سي ناصر، وهذا الأخير أيضا اختلف في تاريخ حكمه ووفاته.

ومن خلال شجرة النسب أحد أمقران توفي عام 1596م، ثم خلفه ابنه سي ناصر الذي توفي عام 1600م، لكن فيرو يرى بأن سي ناصر بدأ الحكم عام 1600م<sup>27</sup> ويؤيده في ذلك مولود قايد<sup>28</sup>، كما نجد لبسا آخر في تاريخ وفاته، فقد ذكر قايد أن سي ناصر توفي عام 1624م، خلال الكمين الذي وضع له، وهنا نتساءل كيف لحاكم تميز عهده بكثرة الفتن والتوترات، وسوء التسيير لإدارة الأعمال السياسية، والاقتصادية والعسكرية، وفي وجود الأتراك قام بتسريح الجيوش، مما أدى إلى كثرة الانقلابات، فكيف لحكمه أن يدوم 24 سنة؟.

وبالتالي فإن تاريخ وفاة أحمد أمقران وتاريخ حكم ابنه سي ناصر ووفاته، تبقى محل خلاف بين جمهور المؤرخين والدارسين، يصعب الفصل فيها، إلا أننا نرجح رأي ران في التاريخ الذي وضعه لحكم سي ناصر ووفاته.

## علاقة القلعة بإمارة كوكو:

تقع قرية كوكو على بعد 18 كيلومتر في الجنوب الشرقي من مدينة الأربعاء بني راثن<sup>29</sup>، يحكمها أحمد بن القاضي<sup>30</sup>، الذي كان أول قاضي ببجاية، أسس الإمارة بجبل كوكو في سنة 917هـ-1511م<sup>31</sup>، استغل أحمد بن القاضي الفراغ السياسي الموجود بجبال جرجرة، وأنشأ مملكته التي عاشت لعشرات السنين في صراع، إما مع الإسبان أو مع الأتراك أو مع بني عباس لكن نفوذهم لم يتجاوز منطقة القبائل الجبلية، عدا ما كان من أمر دخول الجزائر في عهد أحمد بن القاضي واحتلاله لها، وكان الخلاص باغتياله من طرف حاشيته وجمع الشمل من بعده لملاقة الاسبان، ومقاتلتهم جنبا إلى جنب مع الأتراك في عهد خير الدين عام 1529م<sup>32</sup>.

لقد كان من عادة أمراء كوكو استغلال قبائل المنطقة والاستبداد بهم، وكانت قبيلة بني عباس إحدى ضحايا الظلم والجور الذي كانت قبائل زاوية تمارسه في ظل حكم أمراء ابن القاضي، وحسب ما يذكر فيرو ومن بين عادات رجال ابن القاضي التقليدية أنهم كانوا يسخرون سكان بني عباس في السوق الأسبوعي من كل أربعاء بمنطقتهم، وكان هذا السوق من أكبر الأسواق في المنطقة يأتيه السكان من كل النواحي، وفي هذا السوق كان رجال ابن القاضي يجبرون 400 فرد من بني عباس بأن يقوم كل رجلين منهم بحمل عمود من الخشب على الأكتاف ثم تعلق عليه الشاه بعد ذبحها وسلخها وتعرض للبيع وهم على هذه الحال طوال اليوم .

شاهد الشيخ عبد الرحمان هذا السلوك المهين والمذل من رجال كوكو اتجاه بني عباس، فاستاء كثيرا منهم وتقدم من الشيخ المسؤول عن السوق ووبخه وطلب منه الكف عن الإساءة لأشخاص مثله، فرد صاحب السوق قائلا: "أن الأمر لا يعنك وأن هذه العادة قديمة، لست أنت من يغيرها"<sup>33</sup>، فاغتاظ سيدي عبد الرحمان من هذا الرد الذي لم يكن ينتظره، وعزم على القيام بما يمكنه من تخليص هؤلاء التعساء من عبوديتهم فدعى شيوخه لعقد اجتماع، ووضع خطة عسكرية محكمة التنظيم، وفي يوم السوق

الموالي ذهب الشيخ مع رجال بني عباس وتظاهروا بأنهم جاؤوا للتسوق كعادتهم، لكنهم هذه المرة كانوا مسلحين ورافقهم قوة أخرى اختفت قرب مكان السوق في انتظار الإشارة من الشيخ عبد الرحمان الذي قتل صاحب السوق وأعطى الإشارة لأصحابه فانهالوا ضربا على رجال ابن القاضي الذين فوجئوا بالهجوم الشرس لبني عباس، فمات كثير منهم، ولم ينج بالفرار إلا القليل فلاحقهم بني عباس حتى الضفة اليسرى من وادي الساحل، ومنذ هذه الحادثة أصبح وادي الساحل يشكل حدا فاصلا بين بني عباس وكوكو<sup>34</sup>، وبعد أن تمكن بنو العباس من التحرر، أعلنوا منذ ذلك الحين خضوعهم للشيخ عبد الرحمان، واعترفوا به سلطانا وأميرا عليهم، وبقي العداء تقليديا بين بني عباس وإمارة كوكو، ففي عهد أحمد بن عبد الرحمان أدرك منذ البداية سعيهم للقضاء عليه وعلى إمارته، فقد جرت معارك عدة كان أهمها تلك التي زحف فيها عمر بن القاضي على رأس جيش كبير على القلعة، لكنه مني بالهزيمة وانسحب جيشه تاركا وراءه عدد كبير من الموتى والجرحى، وكانت تلك أول مهاجمة دموية بين بني عباس وإمارة كوكو<sup>35</sup>.

استمر العداء في عهد السلطان عبد العزيز خاصة بعد تحالف خير الدين مع إمارة كوكو، فما كان منه إلا مخالفة الإسبان الذين احتلوا بجاية عام 1510م<sup>36</sup>، لكنهم توحدوا فيما بعد للقضاء على قوات الإسبان ببجاية، وكان أول اتفاق بين بني عباس وإمارة كوكو حيث توحد فيه عبد العزيز العباسي وأحمد بن القاضي مع خير الدين وكان ذلك عام (921هـ/1515م)، لكنهم أخفقوا في ذلك<sup>37</sup>، وبعد مجيء أحمد أمقران الذي حملت الأسرة اسمه بعد ذلك، لم يعد لإمارة كوكو شأن يذكر في عهده، وبذلك خضعت له وأصبحت تحت سلطته وبقيت كذلك حتى عهد ابنه سي ناصر<sup>38</sup>.



## 4-علاقة المقرانيين مع الدولة العثمانية بالجزائر:

لقد سجل التاريخ أروع صفحات النضال البطولي والتضحية لسكان قلعة بني عباس، خاصة في فترة السلطان عبد العزيز، فكسب ولاء هذا المقاتل الشجاع يعتبر مقوما أساسيا للعثمانيين يضمن لهم النفوذ والسيطرة على كامل الشرق الجزائري، فعرفت هذه العلاقة السلم والتعاون، كما عرفت فترات للفتور أدت إلى الصراع والحروب.

## أ- فترة السلم والتعاون:

تمتعت إمارة المقرانيين بالقوة وسعة النفوذ في عهد عبد العزيز، ولعبت دورا كبيرا في العهد العثماني، وكانت المحاولات الأولى للتقرب من السلطان العباسي منذ عهد الأخوين عروج وخير الدين اللذان طلبا منه التحالف لصد الإسبان عن بجاية عام 1515م، ولبي السلطان عبد العزيز النداء، لكنهم فشلوا<sup>39</sup>، لم يتخل رغم ذلك عن السعي لبلوغ غاياته فما أن أسعفه الحظ بتجيش جيوش من جديد وملء خزينته بالأموال حتى استولى على القل عام 1521م، عنابة 1522م وقسنطينة، واستعان بعد ذلك بسلطان بني عباس لطرد قبائل كوكو<sup>40</sup>، والقضاء على ابن القاضي وكان ذلك عام 1527م<sup>41</sup>، استمرت العلاقة الطيبة بينهما، إلى غاية رحيل خير الدين ومغادرته إيالة الجزائر، وخلفه في حكم الإيالة حسن آغا الذي حافظ على هذه العلاقة، وبعد وفاته عام 1544م خلفه حسن باشا بن خير الدين بنفس السنة<sup>42</sup>، وحافظ على الود والتحالف بينه وبين أمير القلعة بني عباس الذي ساعده في حملته ضد الإسبان بوهران.

ففي عام 1550م جهز حسن بن خير الدين جيشا قوامه خمسة آلاف رجل من الجزائر رماة البنادق، وألف فارس منهم وثمانية آلاف رجل من مجاهدي جبال زاوية تحت إمرة سلطان قلعة بني عباس عبد العزيز، وخرج الجيش من مدينة الجزائر جاعلا وجهته مدينة وهران لاستخلاصها من يد العدو<sup>43</sup>، كما اشترك معه في إنقاذ تلمسان من أطماع سلطان المغرب والإسبان معا<sup>44</sup>، فقد سار عبد العزيز وجنوده في جيش الأتراك بقيادة حسن

قورصو<sup>45</sup>، وهاجم الشريف المغربي وهزمه وقتل ولد الشريف بيده وحز رأسه وعاد به إلى الجزائر حيث دفن تحت قبة باب عزون من أبواب المدينة، وبذلك تمكن الأتراك من امتلاك تلمسان<sup>46</sup>.

بعدها ذهب حسن باشا تركيا وخلفه صالح رايس عام 1552م وهو أول حاكم عربي يحكم باسم الأتراك<sup>47</sup>، وعرف صالح رايس ما لعبد العزيز من قيمة فوئق التحالف معه واشتركا معا في حرب توقرت وورقلة. بسبب امتناعهم من أداء الجباية والمغرم، فطلب العون من السلطان عبد العزيز الذي التحق به على رأس مائة وثمانين من المشاة الحاملين للبنادق وست عشرة مائة من الفرسان، وكان صالح رايس على رأس ثلاثة آلاف من الجنود المشاة المجهزين بالبنادق ما بين تركي ومسيحي مرتد، وألف من الفرسان وثمانية آلاف من العرب، وقد اصطحبوا معهم ثلاثة مدافع وكثيرا من المؤن والذخائر المحمولة على الجمال، وعاد الأتراك إلى الجزائر محملين بالغنائم<sup>48</sup>.

وفي عام 1555م اشترك عبد العزيز مع صالح رايس لتحرير بجاية من الإسبان وكان عبد العزيز على رأس 800 فارس وعدد من المشاة<sup>49</sup>، وتم تحرير بجاية يوم 28 سبتمبر 1555م، وأجبر الحاكم الإسباني ألفونسودي بيرالتا على الاستسلام للقوات الإسلامية المتحالفة<sup>50</sup>، وبعد وفاة عبد العزيز خلفه أخوه أحمد أمقران، وقد كان لهذا الأخير، إسهامات عديدة في تقوية السلطة التركية، فبعد عودة حسن باشا لولاية الجزائر وكان ذلك عام 1562م، قام بحملة ثانية على وهران، فشن عليها غاراته برا وبحرا، وكان على رأس جيش عدته 30 ألف من بينها 12 ألف رجل من جيش أحمد أمقران زعيم قلعة بني عباس وكاد أن يتم انتصاره عليها لولا ما لحقتها من النجدات من اسبانيا<sup>51</sup>.

#### ب- فترة الصراع والحروب:

عرفت الإمارة برمتها ازدهارا اقتصاديا واستقرارا سياسيا، كما أحكمت سيطرتها على الطريق السلطاني الرابط بين بايلك الشرق والجزائر، وخوفا من تعاضم نفوذ المقرانيين شرع الأتراك في التدخل في شؤون الإمارة<sup>52</sup>،

وإخضاعها وعلى رأسها عبد العزيز، وكان رد السلطان عبد العزيز محاربة القوات التركية والقضاء على حاميتها حسبما اقتضته ضرورة التدخل<sup>53</sup>. وكانت أول محاولة لفتح الصراع بينهما عندما قام حسن باشا ببناء حاميات تضم بداخلها جنود انكشاريين أتراك، في كل من زمورة، البرج، المسيلة والبويرة، وذلك ما بين 1540-1550م لتضييق الخناق على قائد بني عباس<sup>54</sup>، وقد فشلوا في إخضاعه رغم المحاولات التي بذلوها، فقد بذل صالح رايس جهده واستعمل كل وسائل الخداع للإيقاع بهم فلم ينجح، فاستدعى أميرها عبد العزيز إلى الجزائر العاصمة على أمل القبض عليه بعد أن استأمنه وعندما تفتن للمكيدة فر ليلا من قصره بجي الجنينة ونظم مقاومة ضد الأتراك وألحق بهم هزائم ساحقة<sup>55</sup>.

وبعد عودة صالح رايس من حملته على الجنوب، قلل من إسهام عبد العزيز في هذه الحملة، كما تدخل في تقسيم مقاطعة عبد العزيز ومحاولته فرض الضرائب عليه، فرفض سلطان بني عباس الخضوع لهم<sup>56</sup>، لكن الأتراك بدورهم لم يستسلموا بل حاولوا قتله مرة أخرى حيث نظم صالح رايس حملة ضده بقيادته، وضمت الإنكشار بين الذين بلغ عددهم ألفي مقاتل، بالإضافة على الجنود الإحتياطيين المتواجدين في برج بوعرييج، المسيلة والبويرة، وأعلنت الحرب بينهما عام 1552م<sup>57</sup> وخسر عبد العزيز في هذه المعركة أخوه الفضل، وانتصر على الأتراك، وتوفي عام 1553م بعدما هاجم عبد العزيز الحاميات التركية بالبرج، المسيلة، البويرة، أعاد محمد بن صالح رايس المحاولة حيث التقيا في منطقة بوني القريبة من القلعة، وكان مصيره الخسارة أيضا<sup>58</sup>.

وفي عام 1554م استعد سنان رايس<sup>59</sup> لمقاتلة عبد العزيز وكان على رأس جيش قوامه أربعمائة من المشاة و150 من الفرسان و2500 من العرب، فهزم الأتراك مرة أخرى، ولم ينجوا منهم سوى رئيسين فرا بأقصى ما يمكن حتى وصلا إلى مسيلة، وفي تلك الأثناء رجع صالح رايس إلى الجزائر<sup>60</sup>.

وبعد فشل الأتراك في إخضاع سلطان بني عباس فكروا في طريقة أخرى وهي كسبه عن طريق المصاهرة، لكن العباسي رفض، وعلى إثر ذلك تزوج التركي بابنة صاحب كوكوليزمن ولأئهم<sup>61</sup>.

وفي عام 1559م قاد حسن باشا مع حليفه أحمد بن القاضي حملة ضد عبد العزيز، وبدأ بتدمير الأراضي وكانوا على جيش قوامه ثلاثة آلاف من مشاة الأتراك الحاملين للبندق، وخمسمائة من الفرسان، ومعهم ثلاثة آلاف من الفرسان العرب، ودام الصراع لعدة أيام، أظهر فيها عبد العزيز شجاعة كبيرة<sup>62</sup>. وفي عهد الباي خضر باشا (1589-1592م) هاجم الأتراك القلعة للقضاء على المتمردين بجيش قوامه 15 ألف جندي<sup>63</sup>، وكان أحمد أمقران لهم بالمرصاد.

وفي عهد سليمان فنزيانو الذي حاول أن يضع حدا لقوات القلعة جهز حملة عسكرية عام 1600م ضد أحمد أمقران<sup>64</sup>، سيد مجانة بنواحي برج حمزة والساحل الجزائري وفيها توفي أحمد أمقران بجمعة الصهريج<sup>65</sup> وفي السنة الموالية 1601م وقف سي ناصر لسليمان فنزيانو، ولكنه انهزم، وسرعان ما خصعت الإمارة بسبب تشديد الأتراك عليها<sup>66</sup>.

#### -الخاتمة:

من خلال ما أوردناه حول العلاقة التي كانت تربط العثمانيين بسلاطين القلعة، نستشف أنها ليست فترة عدا وصرع دائم بل يكتنف العلاقة بينهما وئام وتعاون وسلم في فترات عديدة، خاصة في البداية فالأتراك حاولوا التقرب وكسب السلطان عبد العزيز بسبب سيطرته على قرى جبال البيبان، وتحكمه في طريق القوافل التجارية وطريق الحجيج، لكن اختلاف وجهات نظر الطرفين فتحت بين الطرفين أبوابا للحروب والصراع، فالفريق الأول ويمثله الأتراك كانوا يسعون لتوحيد السلطة والنفوذ في الجزائر، وفرض سيطرتهم وقوانينهم على كل الإمارات. أما الفريق الثاني ويمثله سلاطين القلعة فالسلطان عبد العزيز كان يصبو لتحقيق أحلامه وطموحاته في

امتلاك بجاية، وجعلها عاصمة لحكمه بالشرق الجزائري والجنوب، كما كان يسعى لتحقيق الاستقلال والعيش بحرية وهذا يتعارض مع مصالح العثمانيين الذين هم في نظره مجرد مستعمرين مثلهم مثل الإسبان .

فكيف لمقاتل شجاع مثل السلطان عبد العزيز أن يخضع للأتراك، ويكون مجرد تابع لهم، لذلك انتهج كل السبل لمقاتلتهم بعكس ما كان يريده الأتراك، وبوفاة هذا الأخير ووفاة السلطان أحمد أمقران وابنه، دب الضعف والتشتت بالقلعة مما ساعد على خضوعها للأتراك وتصرفهم في شؤونها .

#### -الهوامش:

1-Feraud(ch),,Histoire des villes de constantine, "Bordj Bourridj",un Recul des notices et mémoire de la société archéologique et de constantine ,N°15 1871,1872,Paris, p188.t, p 185.

2 -خوجة (حمدان بن عثمان)، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 67

3 - مالتسان (هاينريش فون)، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج 2، ص 161

4- العسلي(بسام)، محمد المقراني وثورة 1871الجزائرية، دار النفائس، ط2، 1986م، ص 20. انظر أيضا المدني (أحمد توفيق)، جغرافية الجزائر، ط2، الجزائر، ص 13.

5-Feraud ( ch), op.cit, p188.

6- Carette(E), Exploration scientifique de l'algerie pendant les années (1840-1842), Etude sur la kabylie, Imprimerie national, Paris, p356

7-عزوق (عبد الكريم)، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص 172.

8 مالتسان (هاينريش فون)، المرجع السابق، ص 161.

9-Carette(E), op. cit, p 356

10- Feraud(ch), op . cit, p188.

11-Feraud( ch), op. cit, p 185

12- ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1969م، المجلد 6، القسم الأول، الكتاب الثالث، ص 52.53.255.296.

13- كريخال (مرمول)، إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، د محمد مكي، محمد زبيبر وآخرون، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1988م، ص 385.

- 14- معاشي (جميلة)، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من ق 10 هـ / 16 م إلى ق 13 هـ / 19 م)، رسالة لنيل درجة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 1990-1991 م، ص 42-43.
- 15- الورتيلاني (الحسن بن محمد الشريف)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المشهور بالرحلة الورتيلانية، بيروت - لبنان، ط2، منذ 1394-1984، ص 36.
- 16- Feraud (ch), op. cit, pp 199- 200
- 17- فرع من أئيج من هلال بن عامر بن الطبقة الرابعة، نزلوا بجبل قلعة بني حماد، وتغلبوا على قبيلة عجيصة البربرية التي تقطن هناك، وورثوا مواطنها وسكنوا بذلك الجبل بطوله من المشرق إلى المغرب، وتفرع منهم بطن المرتفع وبطن الخراج .
- 18- تقع شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق مدينة برج بوعرييج .
- 19- بوعزيز (يعي)، الموجز في تاريخ الجزائر (الجزائر الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007 م، ج 2، ص 43.
- 20 ابن خلدون (عبد الرحمان)، المصدر السابق، ج 6، ص 258.
- 21 الجيلالي (عبد الرحمان)، تاريخ الجزائر العام، دار الثقافة، بيروت، ط .، أنظر أيضا:
- الميلي (مبارك)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الثقافة، بيروت، ط 1964، ج 3، ص 12.
- عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي (1555. 1830 م)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005 م، ص 37.
- 22- Feraud ch, op.cit ,p 201
- 23- ibid,p256
- 24-Ibid ,p203
- أنظر أيضا ميلي (مبارك)، المرجع السابق، ص ص 142-143. 25. Benoudjit (y), op.cit, p295.
- 26 وشن (مزيان)، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007 م، 72.
- 27- Feraud (ch), " Bourdj Bouarriridj, p235
- 28-Gaid(M), op.cit, p 141.
- 29- المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492 هـ - 1792 م) وثائق ودراسات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 م، ط 3، ص 194 .
- 30- هو رجل من أعيان بيوتات الجزائر الساكنة بناحية بلاد القبائل وكان قاضيا لبيجاية في العهد الحفصي.
- 31- الجيلالي (عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص ص 47-48.
- 32- المدني (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 213.
- 33-Feraud ( ch ), op.cit, pp 205-206
- 34 - ibid, pp 206- 207
- 35- Feraud ch op.cit ,p 201 .
- 36- المدني (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص 119. أنظر أيضا: عباد (صالح)، المرجع السابق، ص 50.
- 37 - الجيلالي (عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص 37.
- 38- بوعزيز (يعي)، المرجع السابق، ص 38.

- 39- وشن (مزيان)، المرجع السابق، ص. 99
- 40- جوليان (شارل أندريه)، المرجع السابق، ص. 329
- 41- المدني (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص. 213. أنظر أيضا: جوليان (شارل أندريه)، المرجع السابق، ص. 329.
- 42- الجيلالي (عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص. 84
- 43- المدني (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص. 308
- 44- العسلي (بسام)، المرجع السابق، ص. 120.
- 45- ذو أصل كورسكي، تقلد منصب الباشا بعد وفاة صالح رايس، وتوفي بسبب تمردده على السلطة
- 46- كريخال (مرمول)، المصدر السابق، ص. 385-386
- 47- الجيلالي (عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص. 87
- 48- كريخال (مرمول)، المصدر السابق، ص. 386.
- 49- المدني (أحمد توفيق)، المرجع السابق، ص. 340
- 50- عباد (صالح)، المرجع السابق، ص. 78.
- 51- الجيلالي (عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص. 93. أنظر أيضا: الميلي (مبارك)، المرجع السابق ص. 99.
- 52- وشن (مزيان)، المرجع السابق، ص. 107
- 53- Gaid ( M), l'Algerie sous....., p 69 54 Gaid( M), chronique des beys de constantine, office -54des publication universitaire, Alger, 1983, p 8 .
- 55 - بوعزيز(يعي)، المرجع السابق، ص. 38
- 56 - Gaid( M ), op.cit, p 09-
- 57 - كريخال (مرمول)، المصدر السابق، ص. 387.
- 58-Gaid (M), op.cit, p 10
- 59- هو من أصل كورسيكي كان نصرانيا فأسلم وخدم بالبحرية العثمانية
- 60- كريخال (مرمول)، المصدر السابق، ص. 387.
- 61 - وشن (مزيان)، المرجع السابق، ص. 107
- 62 - كريخال (مرمول)، المصدر السابق، ص. 389
- 63 - وشن (مزيان)، المرجع السابق، ص. 109.
- 64 - بوعزيز(يعي)، المرجع السابق، ص. 39.
- 65- الجيلالي (عبد الرحمان)، المرجع السابق، ص. 139
- 66 - بوعزيز(يعي)، المرجع السابق، ص. 39.